حلاويات

يا مولاى كما خلقتنى!

فايز حلاوة

سامحك الله ياعزيزى أنيس منصور. فقد استطعت برقتك وظرفك ولباقتك أن تجرجرنى إلى مهنة المتاعب والمصاعب مع أننى مازلت أكابد من بلواى مع المسرح وبلاوى المسرح ومشاكل كتاب المسرح. ومهنة المسرح. والنوائب والمصائب ومصلحة الضرائب.

ولقد كنت قبلها ياعزيزى كافيا خيرى شرى ومحددا إنامتى ونشاطى بمسرحى وما أعرض فيه من القيمة العلنية والهمس بصوت عال فى شكل عروض مسرحية.

والحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه أن قد نجانى من شر الحساد وزملائى الحساد والسادة أسيادى النقاد وتلك إرادة الله الذى لامولى لنا سواه.

وأنا فى حياتى لم أكتب خطابا لأحد. كسلان جدا فى مسألة الجوابات وأكره الصيغ المحفوظة تماما كالبامية المحفوظة واللوبيا المحفوظة وجميع المجمدات فى الثلاجة. وجميع أصدقائى وأقاربى يعلمون عنى تلك العادة السيئة وهم لذلك وبمرور الوقت قد رموا طوبتى والكرمة، منهم يرسلون لى خطابات بلا انتظار للرد والباقون أمثال يعاملوننى بالمثل وربما من قبيل العفد وربما من باب التأديب والتهذيب والإصلاح.

وعندما عملت بالتمثيل على المسرح بدأت تهول الخطابات تصلنى من بعض هواة المراسلة وجمع الصور التذكارية والتواقيع وهم غالبا ما يكونون من شبان المرحلة الإعدادية. وكم أضحك كثيرا ومازلت لأجل ذلك المعجب الطيب الذى يكتب صاحة فى طلب صورتى العزيزة التى هى ناقوس يدق فى وادى النسيان ومرجع ضحكى ليس لعيب فى صديقى المعجب وإنما العيب كل العيب فى كاتب تلك السطور فأنا شخصيا لا أحب التصوير الفوتوغرافى ولا أهوى الاحتفاظ بالصور ولا البطاقة الشخصية ولا العائلية ولا رخص القيادة ولا أى شىء يتضمن صورة العبد الفقير الذى لاأرى داعيا للاحتفاظ به.

ولقد نشحت عينى فجأة فوجدت مئات الخطابات تصلنى ووجدتنى مضطرا للإجابة على تلك الخطابات وهناك من يرتون على الإجابة بخطاب ثان وربما ثالث وربما سادس عشر. وهى موهبة بل هبة من الله عز وجل ينعم بها على بعض عبيده. وأراها كموهبة السباحة. فهناك سباحو المسافات الطويلة.. والأخرى القصيرة وهناك من يبلطون فى الماء الضحلة بالبلل. وهناك الثلة أمثالى ممن يتحسسون موارد الماء ويختفون تحت الدش.

والشىء الهام أن خطابات السادة القراء ليست من نوع خطابات الإعجاب ولا طلاب الصور ولاتنطوى بالتالى تحت لواء صنوف المدح أو الإطراء. فقليلون ممن يكتبون إلى هم الذين تلقوا التربية المنزلية على أصولها. بينما الكثيرون تنم خطوطهم وأفكارهم بل ألفاظهم عن موجة كرم زائد فى باب السفالة والغلاسة وسوء التربية والانحطاط. والعجيب الأعجب أن الغالبية العظمى من هذا النوع ليسوا من العامة أو جهلاء الخط لكن الواضح من أسلوبهم وتفننهم فى استعمال صنوف الكلم السافط أنهم على قسط وافر من التعليم. ويا أسفى على مصلحة البريد ورجال البريد وساعى البريد الذى يكلف خاطره وسط قيظ الحر وزمهرير البرد ليحمل إلى قصاصات من الورق تتضمن ألفاظا وكتابات لاتختلف كثيرا عما يكتب البعض على حيطان المارول والمراحيض ومع احترامى الكامل لأعزائى الإخوة الأقباط والمسيحيين واعتزازى وتقديسى لتعاليم السيد المسيح إلا أن شيئا ما فى طبعى بل طبيعتى لايسمح لى أن أدير خدى الأيسر لمن يضربنى فى اتجاه اليمين وأحاول قدر جهدى وطاقتى أن ألم لسانى ويدى وأقابل الإساءة بالحسنى لكن قلمى لايطاوعنى.

وهنا تظهر فئة أخرى أكثر ظلما وأشد عسفا من السابقين. إنهم فئة المحتسبين حماة الفضيلة والعفة وحاملى السيوف الخشبية وهم فى مجموعهم من هواة الجلوس بدون إذن فى مقاعد النظارة. وكما يقول الكابتن لطيف إن مشكلة الملاعب فى مصر أن بها ٢٢ لاعبا و ٦٠,٠٠٠ حكم فكل متفرج يعطى نفسه الحق فى إلغاء وجود الحكم الأصلى ليضطلع بسيادته بهمة كبير الحكام وتخيل ياعزيزى لو أن كل متفرج من هؤلاء يحمل فى يده صفارة وأن الأمر متروك للحكم على كل لعبة بوجب أغلبية الصفارات بعد أخذ الأصوات.

وأؤكد ياسادة أن فئة الغفلة والكتاب على حيطان المراحيض لاتورقنى بقدر مايورقنى هؤلاء الفضوليون الحشريون ذلك أن السائل أمره مستور وشخروخ جنه فهو مستور حائد كاره وسيئه ولاحيلة لى فيه ولاأهمية لسيادته عندى. أما ذلك القاضى من منازلهم الذى يتطوع ليقوم بعملية تنقية لما أكتب ويحاول أن يجلب الحروف والكلمات كما تجلب الأبقار سعيا وراء مزلة خطأ أو شبهة خطأ. ثم بعدنا تبدأ مهنته. بلعب دور الشريك المخالف تجيبه يمين يقول لك شمال.. تجرجره للشمال يقول لك خدنى إلى اليمين. وهؤلاء ومن هؤلاء أعانى الكثير من الصداع ومن القرف وحقيقة أنهم قوم لايعجبهم العجب ولاالصيام فى رجب ومسألة إرضائهم تصل إلى حد الاستحالة لأنهم ليسوا أصحاب قضية ولا اتجاه ولامبدأ ولادخل لهم فى الخصومة.. هم شىء ما أشبه بالبقدونس فى صحون الأكل وأراهم أشبه بقسط الدفن الأبيض فى صحن الشوربة البارد.

ولقد تعودت بحكم الممارسة أن أتعرف على مضمون الخطابات بمجرد الإطلاع على المظاريف. ومن خط الرسل وطريقة كتابته ومدى الرعشة التى تتملك يده أثناء كتابة العنوان واسم العبد لله ومدى تبجيله أو تهميله أو المغالاة فى التبجيل يمكننى أن أستنتج ٩٠٪ من مضمون الخطاب ومستوى الثنائم والسباب وعلى وجه التحديد فإن الإخوة اليوغيين الأفاضل هم أكثر الناس حرصا على مراسلتى وأكاد أقرر أن خطاباتهم متشابهة متجانسة من ناحية الفكر والمستوى والألفاظ وبدون دخول إلى التفاصيل أو ذكر للعينات يمكن توضيحا للقارىء أن السطر الثانى على أكثر تقدير لا يخلو من ذكر أوصاف السيدة الوالدة حفظها الله والسيد الوالد رحمه الله وجعل الجنة مثواه وناهيك ياعزيزى القارىء عما بعد السطر الثانى بل أترك لخيالك الخصب حرية التخيل والتخمين وأنا ياسادة فى حل من هذا الوضع المذكور الذى لايحسد عليه بشر ذلك أنى بصراحة أحترس كما يحترس المحترس وتتصد نفسى لأهون الأسباب بالإضافة إلى أننى تصعب النفس بخلق ضيق وهذا أمر الله.

اللهم إنى أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك من كل ما تعلم إنك تعلم ولا نعلم وأنت علام الغيوب. اللهم ارحمنى من زمانى هذا وإحداق الفتن وتطاول أهل الجرأة على واستضعافهم إياى.

وياعزيزى الرقيق المهذب أنيس منصور. اغفر لى كل ضعف خلقى وانسحابى غير المنظم.. لقد حاولت بكل الجهد والصدق ياسولاى أن تخلق منى صحفيا وكاتبا. وها أنا ذا أعترف ياسولاى كما خلقتنى.

● ● الانسحاب مرفوض والاستقالة غير مقبولة لأسباب خاصة.. ويعود المذكور إلى عمله.

أنيس منصور

طبعت بمطابع دار المعارف بمصر